" ســيّد قطب " وأصالة التفكير

الأخ أبو قتادة

﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

إنّ الحديث عن الشهداء ليس لمجرد تسويد البياض أو إملاء الفراغ ؛ وإنما هو قوة محركة وتيار مولد ويــد بنــاءة وحداء مريح . والشهيد سيد قطب واحد من أولئك الأعلام الذين ذخر بهم تاريخ الإسلام والمسلمين واحــد مــن أولئك المجاهدين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضوا نحبهم وما بدلوا تبديلاً ؛ هو واحد من أولئك الرواد الــذين شع منهم النور في الكلمات فأوضحوا السبيل وأزاحوا الركام عن الطريق فبدت معالمه منارة يهتدي بها السائرون على درب الكفاح الطويل وهم يقتفون آثار أولئك البررة الصادقين . كانت هذه مقدمة نعبر من خلالها إلى تصور الشهيد سيد قطب عن الإسلام لنلمس سلامة تصوره وأصالة فكرته التي كرس حياته لخدمتها . يقول الشهيد في كتابه معالم في الطريق ص ٨٣ تحت عنوان (لا إله إلاّ الله منهج حياة) :

{العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الإسلاميّة المتمثل في شهادة : أن لا إله إلاّ الله ؛ والتلقــي عن رسول الله ﷺ -في كيفية هذه العبودية- هو شطرها الثاني ، المتمثل في شهادة أن محمداً رســول الله .. ومــن ثم تصبح شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله قاعدة لمنهج كامل تقم عليه حياة الأمة المسلمة بحــذافيرها ..} لننصب الآن جسراً نعبر عليه بحر القرون لنصل إلى العصر الذي عاشه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه (**٦٦٠هـ - ٧٢٨هـ**) ولنقف أمام ما كتبه الشيخ الجليل في كتابه العبودية لندرك أصالة الفكرة عند الشهيد وصــلتها بــالفكر الإسلاميّ الصافي العذب ، يقول شيخ الإسلام تحت عنوان : محدثات الأمور ضلالة - الدين ما شــرعه الله تعــالى صفحة ١٧٠ : {وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد إلاّ الله ؛ ولا نعبده إلاّ بما شرع . لا نعبده بالبدء كما قال تعالى :

﴿ ... **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ١١٠]

وذلك تحقيق الشهادتين ، شهادة أن لا إله إلاّ الله وشهادة أن محمداً رسول الله .

ففي الأولى : أن لا نعبد إلاّ إياه

وفي الثانية : أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره}

نعود الآن إلى ما كتبه الشهيد في المعالم صفحة ١٥٠ عن وحدة الحق والترفيع فـــالحكم {.. فنظـــرة الإســـلام واضحة في أن الحق واحد لا يتعدد ، وأن ما عدا هذا الحق فهو الضلال . وهما غير قابلين للتلبس والامتزاج . وإنه إما حكم الله ؛ وإما حكم الجاهلية ؛ وإما شريعة الله ، وإما الهوى ، والآيات القرآنية في هذا المعنى متواترة كثيرة .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّـــهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية : ١٨-١٩]

فهما أمران لا ثالث لهما . إما الاستجابة لله والرسول وإما اتباع الهوى . إما حكم الله وإما حكم الجاهلية ..}

لنعبر الآن بحر القرون مرة أخرى لنلتقي بابن القيم الجوزية رحمه الله (**٦٩١هـ - ٧٥١هـ**) ونقف أمام ما كتبـــه في كتابه (أعلام الموقعين ..) جزء ١ صفحة ٤٧ : {.. وقال تعالى لنبيه ﷺ :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّـــهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية : ١٨-١٩]

فقسم الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة بها ، وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون ؛ فأمر بالأول ، ونهى عن الثاني}

ثم نعود إلى ما كتبه الشهيد في معالم في الطريق صفحة ٦٢ عن الخضوع لأحكامٍ غير حكم الله وصلة ذلك بمعنى العبادة يقول : {.. والعبودية الكبرى -في نظر الإسلام- هي خضوع البشر لأحكامٍ غير يشرعها لهم ناس من البشر وهذه هي (العبادة) التي يقرر أنها لا تكون إلاّ لله ، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنـــه في هذا الدين . ولقد نصّ رسول الله ﷺ على أن (الاتباع) في الشريعة والحكم هو (العبادة) ..} ويقول في صـــفحة ٨٥ من الكتاب نفسه {فليس عبداً لله وحده من لا يعتقد بوحدانية الله سبحانه ..... ليس عبداً لله وحده مـــن يتقـــدم بالشعائر التعبدية لأحد غير الله -معه أو من دونه- ..... وليس عبداً لله وحده من يتلقى الشرائع القانونية من أحد سوى الله ، عن الطريق الذي بلغنا الله به وهو رسول الله ﷺ} ويقول ابن قيم الجوزية في كتابه صفحة ٥٠ :

{..... ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكَم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليـــه ؛ والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ؛ فطاغوت كل قوم مَنْ يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ؛ أو يعبدونه من دون الله ؛ أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمـــون أنـــه طاعـــة لله .....} وأترك المقارنة بين ما كتبه الشهيد وما كتبه ابن القيم للأخ القارئ

هذه لفتة رغبت أن أنبه إليها إخواني الدعاة ليظهر لهم أصالة تفكيرهم وصفاء فكرهم وليكونوا على ثقة أنهم على آثار تلك الصفوة المختارة مقتدرون ليكونوا بتلك الثقة أصلب عوداً وأمضى عزيمة في طريق الجهاد المتواصل ثم هـــي إبراز لأصالة الفكرة عن الشهيد كما أشرت مقدماً حتى تنال كتاباته مزيداً من الدراسة الواعية والتروي والتـــأني في حالة النظر فيه ومطالعتها .

رحم الله الشهيد وأسكنه في عليين ؛ وجزى الله الطغاة الجزاء الوفاق ؛ وليعلم الطغـــاة ؛ ولـــيعلم الحاقـــدون أن الطلائع الإسلاميّة في كل مكان على درب الكفاح سائرة ولراية الجهاد رافعة

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين